بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدى لخدمة كتابه وحديث نبيه وألهم ، فشرح صدور عباده لحسن بيانه وعلم ، وفتح للبحث سبلاً وعلم الإنسان ما لم يكن يعلم ، فنشكره على جميع ما منّ على عباده وأنعم ، ونصلى على خاتم النبيين صفوة رسله سيدنا محمد سيد العرب والعجم ، وعلى آله وصحبه وحملة دينه ما استهلت سحائب رحمته وانهلت الديم ، وعم كل خير بأمته من إقامة عوج وتقويم أود وختم .

أما بعد : فإن من أعظم نعم الله على عباده أن جعل عبادته من : صلاة وصيام وزكاة وحج تلك الأركان الأربعة ، أو الدعائم الأربعة التى عليها بناء الإسلام الشامخ بعد الشهادتين أو التوحيد والرسالة ضمنها حكماً ومصالح وأسراراً ، يجلُّ عن الفهم إدراكها ، وتقصر عنها ألباب الفحول ومداركها إلا شيئاً قليلاً تصل إليه العقول ، أو وقعت الإشارة إليها فى كلام الله وحديث الرسول ، وجعل لكل من تلك العبادات مزيةً غير مزية الأخرى لا تبارى ولا تجارى ، ولكل تأثير فى النفس غير تأثير الآخر ، وفى كل انصباغ للروح البشرية بلون غير لون الآخر ، وأصبح كل منها وسيلةً لتربية النفوس البشرية وتزكيةً للقلوب بحيث لا يقوم عبادة بدل عبادة ، ولا ريب أنه نظام إلهى ربانى لإسعاد البشرية جاء به وحى السماء ، ولا يتصور فى العقول نظام لإصلاح البشر أسمى منه وأسنى ، وأعلى منه وأولى .

فالصلاة عماد الدين ، وفرق بين الكفر والإسلام ، وإن شئت فقل : بين الشرك والتوحيد ، لا يتصور هناك شهادة أصدق وأرق للاعتناق بدين الإسلام ، ولرفع لواء التوحيد ، وللقضاء على الوثنية والشرك ، ومن أجل هذا قال عزوجل : « وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين » .

والزكاة أوثق أمارة للانقياد والاستسلام للحكومة الإلهية ، وأرفع شعار للإطاعة ، وأجود نظام مالى لدفع الفقر من أفراد الشعب والأمة حتى لا يبقى جائع ولا عار ، وأحسن رياضة لرذيلة البخل والشح ، وأظهر مأساة للإنسانية ، وأقرب عاطفة للمودة والرحمة ، وما إلى ذلك من أسرار تقصر عنها العقول .

والصيام فيه كبح جماح النفس عن الشهوات والملاذ ، وتتهذب فيه سورة حيوانية ، وتنقاد فيه البهيمية ، وأكبر وسيلة للتقوى ، وشعار لقوة الإيمان بالله ، وتشبه بالملأ الأعلى ، وتخلق بالله تعالى ، ليس فى إصلاح البشرية أمثل منه عبادةً ولهذا ورد : « الصيام لى وأنا أجزى به » . ثم فى كل ذلك قبل كل شئ عبادة وعبودية ، وشهادة بوحدانيته ، وتفرده تعالى بالأمر ، وقيام بالأمانة الإلهية ، واستحقاق لنعيم الجنة ، ورضاء للخلاق العليم ، ومجاهدة للوصول إلى الكمال باختيار أخلاق الأنبياء الكرام وهديهم وسمتهم ، عليهم صلوات الله وسلامه .

وأما حج بيت الله الحرام فله شأن عجيب فى سائر العبادات ، فيه تعظيم لشعائر الله ، ورفع لأعلام الملة الإبراهيمية ، وإكرام للبيت الحرام ، الذى جعله الله بيتاً مباركاً هدىً للعالمين ، وفيه إظهار لشوكة الإسلام ولعزّ المسلمين ، لكى ترفرف على أقطار العالم كله رأيات مجد الإسلام بهذا الاجتماع العظيم حيث لبوا دعوة الحق من كل فج عميق فى صعيد واحد ، واتجهت قلوبهم فى ضراعة وابتهال ، رافعين أيديهم إلى الله خاشعين لله عزوجل ، فى عبرات

تسيل ، وزفرات تتصاعد ، وحسرات قلوب تتقطع ندامةً وأسفاً ، ما من شك أنــه يرفع المسلمين عزّاً وقبولاً ، وتستنزل بركات السماء ، وتستجلب الرحمة الإلهية .

وما من شك أن مثل هذا الاجتماع السنوى العظيم كل عام فى موقف مبارك وطأته أقدام أنبياء الله المقربين ، وتتنزل فيه الملائكة ، كل ذرة من ذراته يتشعشع نوراً وضياءً ، أحاطت به بركات السماء من كل جانب ، لا بد أن يتــأثر كل حاج أخلص لله قلبــه بروح الوحدة الإنسانية ، وأن يظهر تأثيرهــا العميق فى حياة هذه الأمة العظيمة المحمدية، ونهوضها من سباتها العميق وغفوتها الطويلة، فيكون هذا النسك العظيم أكبر عامل فى إصلاح هذه الأمة لو راعوها حق رعايتها ، وقضاء على كل اتفاق ضد الإسلام والمسلمين، وقضاء على اليهودية والنصرانية فى وقت واحد بتنويه الملة الإبراهيمية والشريعة المحمدية، وشعار صادق لتوحيد صفوف المسلمين وتوحيد لكلمتهم، وخزى لأعداء الإسلام من شياطين الجن والإنس أجمعين ، ويقول الله سبحانه : « ليشهدوا منافع لهم » ويقول عزوجل : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » وعلى الآيتين هاتين تدور رحى أسرار الحج وحكمها .

ثم فيه تربيــة بديعة لتحمل المكاره والمشاق ، وإعداد لترك التجمل والترف ونعيم الدنيا وزخارفها ، وأوضح شعــار إلى أن الحاج المسلم تفانى فى حب الله ، وأن الغرام قد استولى على مشاعره ، وأنه لا همّ ولاعناية له غير الرب جل ذكره ، وأن محياه ومماته ونسكه لله عزوجل ؛ فكأنه قد انخلع عن كل ترف وراحة ، وتجرد عن كل زينة وحاجة .

فالحج إذن صورته وسيرته ، روحه وقالبه ، ظاهره وباطنــه ، قوله وعمله ، تلبيته وطوافه ، وقوفه ودعاؤه ، عبراته وزفراته ، سعيه وعدوه ،

تفله وشعثه ، عجه وثجه ، سهر لياليه ، ورمى جماره ، كل حركة وسكون ، ليس إلا تمثال صحيح وصورة صادقة واضحة لمن فنى فى حب حبيبه لا يرى غيره بعينيــه ، فلا يرفث ولا يفسق ، ولا يشتهى ولا يرغب ، قلب فارغ عن كل حاجة غير طاعة الله عزوجل ، جندى شجاع قوى مقدام يقتحم كل بأس لينتصر على عدوه ، ويرفع رأية الإسلام ولواء المسلمين بغاية الإخلاص والنشاط ، ومن أجل هذا جاء : « والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » . فمن كان حوى على مشاعره ومداركه غرام وهيام للقاء الحبيب المفدى بنفسه ونفيسه ، لابد أن يكون جزاؤه ذلك الإكرام الجليل ، والفلاح الأخروى من بقاء بلا فناء ، وغنىً بلا فقر ، وعلم بلا جهل ، وعزّ بلا ذل ، وراحة من غير نصب ، وصحة من غير وصب ، والفوز بالنعيم الدائم السرمدى ، ولقاء الحبيب الودود ، وشرف عظيم بالتجليات الربانية ، ومشاهدة عيان للسبحات المتشعشعة .

فيا سبحان الله العظيم ! ما أروع هذا الجزاء ، وما أكرم هذا المنظر الجميل الرائع ، فانظر يا رعاك الله هل تقاوم هذه المزايا الرائعة ؟ وهل تزاحم هذه الخصائص البارعة ؟ وهل تشاكلها عبادة ؟ كلا ثم كلا ، فأصبح الحج شعـاراً لكل من يؤمن بالله ورسولـه ، ومن أجل هذا ورد مرفوعاً : « من مات ولم يحج حجة الإسلام . . . . فليمت على أىّ حالة شاء يهودياً أو نصرانياً » من حديث أبى أمامة عند أحمد وغيره ، وأشار إليه سبحانه وتعالى بقوله : «ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » .

## حجـة الـوداع

حج رسول الله ﷺ بعد الوجوب حجـةً واحدةً تسمى حجة الوداع - بالفتح وقيل بالكسر أيضاً - وتسمى حجة الإسلام ، وحجة التمام ، وحجة

الكمال ، وحجة البلاغ ، والمسلمون مع رسول الله فى غاية الكثرة مائة ألف وأكثر كما حكاه البيهقى ، وهذا فى عدة من خرج معه ﷺ عن المدينة ، وأما الذين حجوا فأكثر بكثير فنهم المقيمون بمكة ، ومنهم القادمون من اليمن مع على وأبى موسى كما يقوله " شارح المواهب " ، ومنهم القادمون من أقطار الجزيرة من القبائل ، ولذا ورد فى بعض الروايات : أكثر من الحصر والإحصاء ، وظاهر أن المسلمين مع رسول الله ﷺ فى غزوة ذات العسرة غزوة تبوك كانوا فى غاية الكثرة ، ولفظ البخارى فى "صحيحه" : ولا يجمعهم كتاب حافظ ـ يريد الديوان ـ فلا بد أن يكون فى الحجة أكثر بكثير منهم فى غزوة تبوك ، وراجع " جزء حجة الوداع " ( ص ـ ٢٦ ) وكانت غزوة تبوك وحجة الوداع كلتاهما من أروع الرياضات ، وأشق المجاهدات للأصحاب جميعاً ، وتمرين للأمة بالخروج للجهاد وتحمل المشاق ، ولذا عوتب أولئك الثلاثة الأصحاب أشد العتاب لحرمانهم عن هذا التمرين النبوى الكريم ، والتدريب العسكرى العظيم ، فضلاً عن ذلك البعد عن تلك الأنفاس القدسية ، وصحبة النفس الزكية، وكأن فى هاتين الرحلتين العظيمتين تدارك لمن قلت صحبته أو كان حديث العهد بالإسلام ، ففيهما شعب لهذا الصدع ، وجبر لهذا الوهن .

ومن العجيب المدهش هذه الكثرة الغامرة من أصحاب رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، وإنه أول حجة منه ﷺ لم يسبق لهم علم بالمناسك ، وإنهم كانوا يتلقون فيها المناسك ، وربما تأخروا وربما تقدموا ، وكانوا مشاة وركباناً ، ثم مع هذه الظروف ضبطهم البديع لكل نسك ، ونقل كل قول وعمل إلى من بعدهم ، وعدم اختلافهم فى جوهر المقاصد وأركان النسك ، واتفاقهم على الروح من خوارق القدرة الإلهية ، لم يسبق للتاريخ قوم على بسيط الأرض من أصحاب الأنبياء والرسل فضلاً عن الملوك والأمراء ، بيد أنه لا غرو حيث جعل الله سبحانه وتعالى سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه

قدوةً وخير أسوة لخير أمة ، جعلهم الله شهداء فى الأرض ، وجعلهم أبرَّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ كما وصفهم حبر القادسية ابن أم عبد .

وقد قلت قديماً فى " معارف السنن " ( ٦ - ٦٣٣ ) بعد تفصيل طويل : وإنما الغريب فهمهم لإدراك هذه الحقائق الدينية أول مرة ، واتفاقهم على المغزى من المقاصد ، وضبطهم ومشاهدتهم لهذه الأفعال والأعمال ، وبلوغهم إلى غاية من الذكاء والتيقظ ، فضبطوا عملاً عملاً ، وفهموا شيئاً شيئاً ، وهذا شئٌ عجيب وأمر غريب ، وكل ذلك من خصائص هذه الأمة وميزاتها ، وصفاء هؤلاء الصحابة الذين تجلت أذهانهم وأفهامهم ببركة صحبة النبى ﷺ ، فوصلوا إلى مرتبة من الذكاء وصفاء القلوب ، وجلاء الأرواح وتهذيب النفوس ، . . . . والله سبحانه ولى التوفيق إلى فهم هذه الحقائق الشرعية ، وثلج اليقين إلى إدراكها ، وبلج الجبين بمعانيها ، فكان الأمر كما قال قائلهم - وهو ابن بابك الكندى - :

من أم بابك لم تبرح جوارحه ... تروى أحاديث ما أوليت من منن

فالعين عن قرة والكف عن صلة ... والقلب عن جابر والسمع عن حسن

ثم مع هذا الذكاء والصفاء أشربوا من محبة الرسول عليه صلوات الله وسلامه ما لم يعهد فى تاريخ البشرية من يضاهيهم فى المحبة والوداد ، فيحدثنا الإمام البخارى فى أصح كتبه " صحيح البخارى " فى حديث طويل من صلح الحديبية : ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبى ﷺ ، قال : فوالله ما تنخم رسول الله نخامةً إلا وقعت فى كف رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ... وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، إلى آخر الحديث . وأيضاً أخرج البخارى فى حديث أبى جحيفة فى ( باب الثوب الأحمر ) : ورأيت بلالاً أخذ وضوء

رسول الله ﷺ ورأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء ، فمن أصاب منه شيئاً تمسح به ، ولم من يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه ، إلخ . قوم فعلوا هذا بفضلاته ونخامته ، وبصاقه ونخاعه ، طائفة شربوا دم حجامته ﷺ كابن الزبير وأبى طيبة وغيرهما كما فى " البداية" و " النهاية " لابن كثير و " العمدة " للبدر العينى ؛ صحابية ـ أم أيمن بركة الحبشية ـ شربت بوله ﷺ كما يحكيه ابن عبد البر وابن حجر ، وما إلى ذلك من مآت الوقائع فى الأحاديث الصحيحة ، والسيرة النبوية الكريمة وتاريخ الإسلام الذهبى المجيد .

ويقول ابن المنير المالكى : لما مات ﷺ طاشت العقول فمنهم من خبل، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ، ومنهم من أضنى ، وكان عمر ممن خبل ـ أى كاد ـ وكان عثمان ممن أخرس يذهب ويجئ ولايستطيع كلاماً ، وكان على ممن أقعد فلم يستطع حراكاً ، وكان أثبتهم أبو بكر جاء وعيناه تهملان ، وزفراته تتردد ، وغصصه تتصاعد وترتفع ، كما يحكيه صاحب " المواهب " ، وكان سبب موت أبى بكر الكمد على رسول الله ﷺ كما يقوله زياد بن حنظلة وابن عمر كما فى " أسد الغابة " .

فهذه وأمثالها شواهد ساطعة لامعة على أن هؤلاء القوم وصلوا فى حب الرسول ﷺ غاية ما وراءها غاية ، قوم جمعوا إلى شدة الحب غاية التوقير والإجلال ، فلم يضيعوا قطرة وضوئه وفضلاته ؛ فكيف يمكن أن يضيعوا لمحة من حياته ، وحركاته وسكناته ، وأضف إلى ذلك الترغيب الشديد فى حفظ حديثه وإبلاغه لمن لم يحضر ولم يشهد ، فهذه الظروف قد اجتمعت وساعدت على حفظ أحاديثه ، فحفظوا ما حفظوا ، وبلغوا ما سمعوا ، قلوب واعية ممتلئة بالحب والإيمان ، وآذان صاغية لكل ما جاء من معرفة وإيقان ، وقال قائلهم :

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور يستضاء به ومن حديثك فى أعقابها حاد
إذا اشتكت عن كلال السير واعدها روح الوصال فتحيى عند ميعاد

وهذا ابن عمر وحده يروى حديثاً كما فى " الصحيح " من المساجد من ( باب المساجد التى على طريق المدينة إلخ ) التى مرَّ منها ﷺ إلى مكة فى حجته وعمرته ، كيف يضبط موطناً موطناً، صحراء واسعة ، وجبال جرداء شاهقة ، بطحان وأودية ، آكام وظراب، وهاد وتلال، كيف يحفظها وكيف يضبطها ، وكيف يعينها ويرويها بضبط دقيق ما لايتصوره جغرافى ولا صاحب خرائط ولاصاحب تاريخ ، أنظره مرةً بعد مرة ، وارجع إليه البصر كرةً بعد كرة ، فهل يتصور فى العقول قوم أضبط وأشد إحصاءً وأقوى ضبطاً من هؤلاء ، وكان الأمر كما قال القائل :

ونادتنى الأشواق مهلاً فهذه
منازل من تهوى رويدك فانزل

ولا غرو أجساد بشرية فى أرواح ملكية ، ونفوس قدسية اختارهم الله لصحبة نبيه ورسوله ، وحفظ أنفاس نبوته ، فرضى الله عنهم أحسن الرضا، وجعل الجنة مثواهم ومأواهم دائماً أبداً .

وقد اشتهر بالعناية برواية حجته ﷺ عدد كثير من الصحابة، وأوفاهم سياقاً وأوعبهم مساقاً جابر بن عبد الله الأنصارى ، وأخرج حديثه كاملاً الإمامان الجليلان : مسلم فى " صحيحه " وأبو داود فى " سننه " وقد اختصا من بين أرباب الأمهات الست بتخريجه، والبخارى وغيره من الأئمة أخرجوا قطعاً منه فى أبواب متعددة متفرقة ، ولم تزل أحاديث حجته ﷺ محل عناية

كبيرة من قدماء المحدثين إلى اليوم ، ومسائل الحجة وأحكامها محل عناية من كبار الفقهاء إلى اليوم ، فمن قدماء المحدثين أوسعهم نفساً فيها الإمام أبوجعفر الطحاوى الحنفى ، فيقول القاضى عياض المالكى : فإنه تكلم فى ذلك فى زيادة على ألف ورقة اه - يعنى فى ألفى صفحة - ومثل هذا التوسع يدهش العقل ويدلنا هذا على أن الكتاب يكون فى مثل حجم " معانى الآثار" له ؛ ويتلوه معاصره الإمام أبوبكر بن المنذر فصنف فيه جزءً كبيراً ، وخرج من الفقه مائة ونيفاً وخمسين نوعاً كما يقوله عياض ويحكيه النووى ، وكذلك ابن حزم ألف فيه مجلداً ضخماً كما فى " شرح المهذب" .

ومن كبار الفقهاء الإمام محمد بن شجاع الثلجى الحنفى ألف فى المناسك كتاباً فى نيف وستين جزءً كبيراً دقيقاً كما يذكره الجزائرى فى " توجيه النظر فى مصطلح أهل الأثر " فى بحث متشابه الأسماء ، وكتب المناسك فى المذاهب الأربعة كثيرة تسابقوا فيها ، ولا يزال التأليف فيها جارياً مستمراً إلى اليوم ، وقد عنيت بمسائلها ، فكنت أطالع كل ما تيسر لى من كتب الفقه ، وقد طالعت أبواب المناسك من كتب الفقه الحنفى ، فآخر ما طالعت ليلةً هذه الأبواب من " الفتاوى الهندية " وحصل لى نوع إعجاب باستيفاء أحكامها ومسائلها ، فلما نمت أرى رؤيا أسمع نداءً من الهاتف : إن مسائل الحج كثيرة أكثر من أن تستوعبها ، ولا تستطيع استيفاءها ، فلما استيقظت زال ذلك الإعجاب ، وفى نفس العام ابتليت بمسائل من المناسك وسئلت عنها فلم أدر الجواب عنها وعجزت ، ولم أهتد إلى كتاب أجد فيه شفاء الغلة ، فهكذا تمثل لى العجز عن مسائلها والجهل بأحكامها ، وطاح ذلك الإعجاب ، والحمد لله .

وعلى كل حال الموضوع دقيق وواسع ، وأحكامها كثيرة قلما يقوم بإحصائها إلا أفذاذ من الأمة الجهابذة من الأئمة ، وهيهات ذلك ، والأمر كما

قال لبيد بن ربيعة العامرى :

عفت الـديـار محلها فمقامهـا ۞ بمنىً تأبد غولهـا فرجامها

فدافع الريان عرى رسمها ۞ خلقاً كما ضمن الوحى سلامها

دمن تجـرم بعد عهد أنيسها ۞ حجج خلون حلالها فحرامها

بيد أن هناك بقايا من السلف ظهروا فى عهـد الخلف ، وفقوا لجهود مشكورة فى أبواب العـلم والفقه ، يمثلون عهد سلف ـ قد مضوا ـ بعلمهم وفضلهم وورعهم وتقواهم، ويذكرون ذلك العهد الميمون المبارك، ومن هؤلاء شخصية فذة مغتبطة بكمالاته العلمية والعملية ، صاحب التأليفات النافعة الجيدة، والتعليقات الممتعة فى غاية الحسن والجمال ، حضرة مولانا الشيخ محمد زكريا الـكاندلوى السهارنفورى ، نزيل المدينـة المنورة ـ زادها الله نوراً ـ المدعو بـ " شيخ الحـديث" أطال الله حياته فى عافية ممتعة ، وقوة صالحة ، وهمة عاليـة ، وتوفيق دائم مستمر إلى كل خير ، فساهـم القدماء من المحدثين والفقهاء ، فألف جزءً فى حجة الوداع فى إبان شبابه ، وريعان فتوته ، حين كان سنـه لم يكمل عقداً ثالثاً قبل كمالـه بثلاث، ووفق لتأليفه فى نحو ثلاثين ساعةً واقتنع بما لخصه الحافظ ابن القيم فى " الهدى " من حديث جابر وغيره مع أبحاثه .

ثم بدا له بعد ما بلغ عهد المشيخة صورةً ومعنىً ، وجاد قلمه وعلمه بنفائس أبحاث الموضوع فى تأليفاتـه القيمـة كـ " الأوجز " ، وتعليقـات " الكوكب الدرى" ، وتعليقات " لامع الدرارى" ، وما استفاد فى رحلاته إلى الحج وصلته بديار الحبيب ، وما أنتجته تجارب ناضجة من نتائج تحقيقاته البارعة ، فشرحه ملتقطاً من تآليفه فأجاد وأفاد ، وأضاف إلى هذا الجزء جزءً آخر فى عمراته ﷺ برؤيا رآها ، فإذن أصبح هذا الكتاب شرحاً بديعاً منقحاً لحديث جابر فى حجة الوداع ، وشرحاً ملخصاً لعمراته ﷺ ، حاو

لمعظم أحكامها الفقهية بكلام واضح ، ملخصاً من أبحاث واسعة فى تآليفه وتعليقاته ، أحسن إلى أرباب التدريس من الأساتذة والتلاميذ حيث يصادفون ضالتهم المنشودة فى أهم أبحاث هذه المناسك ، مع الإلمام بالمذاهب الأربعة وغيرها مع أدلتها ، وترجيح الراجح بحيث لا يشوبه نغص العصبية المذهبية شأن الأتقياء الأبرار ، والعلماء الأخيار ، وترى فيه حل مشاكل لم تنحل بعناية أجلة الشارحين ، وتجد فيه أبحاثاً لم تطرقه هؤلاء الجهابذة فى شروحهم الضخمة ، وذلك مما يملأ قلب العالم غبطةً وابتهاجاً بهذا التوفيق الجليل ، ولابأس أن نقدم لك نماذج وأمثلةً لكى يثلج قلب كل باحث ، ويشفى غليل كل طالب وناشد .

منها : قوله فى ( ص - ٢٧ ) : . . . . الطرق المعروفة من المدينة إلى مكة أربع . . . أحدها : الطريق السلطانى ؛ والثانى : الغائر ؛ والثالث : الفرعى ؛ والرابع : الشرقى ؛ والطريق السلطانى طريق الشجرة ، إلى آخر ما حققه من الطرق وتعيين يوم الخروج من المدينة ، هل كان لستٍّ بقين من ذى القعدة ؟ كما يرجحه العينى اتباعاً لابن حزم وابن العربى ؛ أو لخمس بقين ؟ كما يختاره ابن القيم ، والمؤلف يرجحه بدليل واضح يسوقه .

ومنها : كلامه فى(ص - ٤٢ و ٤٣) فى حكم التلبيد عند الإحرام ، واستيفاء المذاهب فى حكمه ، ثم تطبيقه بحديث : « الشعث التفل » وأنه لا منافاة بينهما من كلام شيخه الفقيه المحدث السهارنفورى صاحب " البذل " وتأييده بحديث أخرجه البيهقى ، وتوجيه بديع من كلام الفقيه المحدث الكنكوهى فى "الكوكب الدرى" إلى آخر البحث النفيس .

ومنها : بحثه فى ( ص - ٥٤ ) : فأضلها غلامه . . . . فطفق أبوبكر يضربه ، قال الشيخ فى " البذل " : وهذا يدل على أن تأديب غلامه ليس

بداخل فى قوله تعالى : « ولا جدال فى الحج » وإلا فلم يجترئ عليه أبوبكر ونهاه عنه ﷺ ، ولكن قوله : « انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع ؟ » يومى إلى أنه لا ينبغى للمحرم ذلك أيضاً .

قال الراقم البنورى : وربما يكون ذلك ملاطفةً وتقريراً له على الجواز ، والله أعلم .

ومنها : تحقيقه فى قصة أنجشة المعروفة : « يا أنجش ! رويدك سوقك بالقوارير » . . . . ولم يذكر الحافظ تعيين السفر من رواية ، والعجب أنه لم يذكر رواية المسند المذكورة المصرحة بأن القصة كانت فى سفر الحج اه .

ومنها : بحثه النفيس فى ( ص - ٦٣ ) فى إحرام عائشة بالعمرة ، ثم رفضها العمرة بعذر الحيض وإحرامها بالحج المفرد ، وبيان المذاهب وتحقيق ما هو الراجح أمام الروايات وتأييدها ذوقاً وعقلاً .

ومنها : تعيينه فى ( ص - ٦٦ ) موضع طهر عائشة ودفع استبعاد ابن حزم ، ورد قول ابن القيم وإبداء رأى صحيح فى تعيين المقام بروايات الصحيح ، وتأييدها من " السيرة " لابن هشام .

ومنها : تحقيقه فى ( ص - ١٠١ ) فى مسألة : أن القصر بمنى وعرفة لأجل السفر ، أو لأجل النسك ، وتحقيق مذهب مالك أنه لأجل السفر لا للنسك مثل سائر الأئمة جيد ونفيس ومن خصائص كتبه ، ومن العجيب خفاؤه على مثل ابن قدامة والبدر العينى وأمثالهما ، وفى الباب حكاية طريفة فى " معالم السنن" وحكيتها فى " معارف السنن " ( ٦ - ٤٣٤ ) والله سبحانه أعلم .

ومنها : توجيهه فى ( ص - ١٠٣ ) لاختيار عرفات موقفاً لأجل أخذ الميثاق من ذرية آدم بوادى نعمان وهو بقرب عرفات جيد غير مسبوق إليه

صراحةً ، وإن كانت وقعت الإشارة إليه فى كلام الحافظ القاضى بدرالدين الشبلى الحنفى صاحب " الشمس الذهبى " كما ذكرته فى " معارف السنن " ، والله الموفق .

ومنها : تأييده فى ( ص ـ ١٠٥ ) لتغطية وجه المحرم إذا مات فى إحرامه من كلام حضرة المحدث الكنكوهى فى غاية الجودة والنفاسة .

ومنها : ما ذكره من التهجد ليلة النحر بمزدلفة فى تأييد كلام " البذل" جيد .

ويقول الراقم : عـدم إحياء الليلة بكمالها شفقة ورأفة على الأمة التى لها شغف بأتباع سنة نبيه وهم ضعفاء، ومن صفاته : «عزيز عليه ما عنتم» والترغيب فى إحياء ليلتى العيد فى الأحاديث القولية موجود ، ويتأكد هذا فى مثل هذا الموقف العظيم ، وفى مثل هذا النسك البديع ، فليكن هذه الوجوه أمام القارئ الكريم .

ومنها : بحثه فى ( ص ـ ١٦٤ وما بعدها ) فى تأخير طواف الزيارة إلى الليل بحث مستفيض جيد استوفى كل ما ورد بغاية الحسن والتلخيص .

ومنهـا : تفصيل الأقوال فى ( ص ـ ١٦٩ ) فى شرب ماء زمزم قائماً من الأقوال الستة تلخيص جيد .

قال البنورى : والذى أرى أن شرب زمزم قائماً مسنون ومطلوب دون بقية المياه ، لأن الغرض التضلع التام من الماء ، وذلك التضلع التام لا يحصل إلا بالقيام ، ثم إنه شفاء لاخوف من التضرر بشربه قائماً مهما ارتوى وتضلع وتعلل ، وشرب بعد علّ ونهل، والغرض أن المطلوب فى شرب زمزم تكثير الشرب ومن غيره تقليل الشرب ، والقيام يلائم الأول كما أن الجلوس يناسب

الثانى، وعلم من هذا ـ لو كانت الحكمة هذه ـ أن شرب زمزم قائماً فى غير بئر زمزم للتبرك المحض جرعات ليس بسنة ، والله أعلم .

ومنهـا : بحثه فى ( ص ـ ١٤٦ ) من الاستدلال بحديث أبى داؤد لأبى حنيفة من وجوب الدم فى الأفعال الثلاثة من الرمى والذبح والحلق بسوء الترتيب، ثم تقريره بكلام المحدث النككوهى فى "الكوكب" فى غاية الجودة، وإلزام المؤلف بعض الأئمـة بإيجاب الترتيب فى الجمرات الثلاث فى غاية النفاسة حيث يشمله عموم الرواية ، فكيف استثنى الجمرات منه .

ومنها: تلخيصه فى (ص ـ ١٩٣ وما بعدها ) لحديث غدير خم والاقتناع بماهو الأهم فالأهم من غرر النقول فى غاية الجودة . يكفى للرد على مزاعم الشيعة .

ومنها: كلامه فى ( ص ـ ١٩٩ ) فى حج الصغير وعدم لزوم الكفارات بالجناية كلام فى غاية الحسن .

ومنهـا : بحثه فى ( ص ـ ٢٠٢ وما بعدها ) فى عمرة فى رمضان بحث جيد ملخص ، وكلام المحب الطبرى فى " القرى " ربما يكون أحسن ما قيل فى هذا البحث ، وقد لخصت الكلام فيه فى " معارف السنن " ( ٦ ـ ٥٧٧ ) ولابأس أن أكمل هذا البحث بكلمة من الشيخ الدهلوى صاحب " الحجـة " فاتنى ذكرها فى " معارف السنن " كما فات عن حضرة المؤلف وهو كلام فى غاية الحقيقة ، قال فى " الحجة البالغة " ( ٢ ـ ٤٣ ) : وقال النبى ﷺ : « إن عمرةً فى رمضان تعدل حجةً » .

أقول : سره أن الحج إنما يفضل العمرة بأنه جامع بين تعظيم شعائر الله، واجتماع الناس على استنزال رحمة الله دونها ؛ والعمرة فى رمضان تفعل فعله، فإن

رمضان وقت تعاكس أضواء المحسنين ، ونزول الروحانية ؛ كلام جيد إلى الغايـة .

هـذا ؛ وقد تمّ ما كنت حـاولت أن آتى ببعض شواهد من خصائص الكتاب تمثيـلاً وتدليلاً ، فهذه ستة عشر وجهاً ، والكتاب كله غرر ودرر جاء فيه بغرر النقول بغاية التلخيص والاختصار ، فجزاه الله خيراً ، ولابأس أن أمرّ بالقارئ الكريم بجزء العمرات مراً سريعاً ، والله الموفق .

فأقول وبالله التوفيق : جاء المؤلف الموفق المغتبط فى جزء عمراته ﷺ وشرحهـا فى عشر ومائة ( ١١٠ ) صفحـة ، منهـا سبع صفحات فى التمهيد فى تحقيق العمرة لغـةً وشرعاً ، وبيان عددها ، وحكمهـا الفقهى فى المذاهب الأربعة ، وتحقيق الروايات وترجيح ما هو الراجح بكلام منضبط كدأبه فى الشرح كله ، وتسع وستون (٦٩) صفحـةً فى عمرة الحديبية . وبسط القول فيها من شروح الصحيح وكتب السيرة و " شرح المواهب" للزرقانى، وكلمات من " الكوكب " و " اللامع" و " الأوجز" و" البذل " وغيرها ، وجاء فيهـا شرح واف وبسط كاف فى تحقيق كلمة كلمة بكل جودة وتلخيص ، وجاءت مسائل استطرادية من صلح الحديبية وأسرارها، ومقام أبى بكر من بين الصحابة ونسبته الاتحادية مع حضرة الرسالة، وسرّ كونه خليفة رسول الله ﷺ من بعده ، وذكر وصف ابن الدغنة سيدنا أبا بكر بما وصفه سيدتنا خديجـة أم المؤمنين رسول الله ﷺ بتلك الكلمات سواءً بسواء ، وبيان أن العارفين ذكروا أربع نسب ، وهذا شئ لم يذكره الشارحون .

ويقول البنورى : لما كان بعثة رسول الله ﷺ لتتميم مكارم الأخلاق كما قال هو ﷺ : « بعثت لأتمـم مكارم الأخلاق » والصديق كان أشبـه الصحـابة به ﷺ من بين الصحابة خلقاً وسجيةً ، وموافقة جوابه لسيدنا عمر

بمثل جواب سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه فى الحديبية سواءً بسواء دليل ذلك واضحاً ، فمن أجل هذا كان هو المستحق ليكون أول خليفة له ﷺ بلا فصل ، ثم سيدنا عمر لكونه أشبه الصحابة به ﷺ فى إصلاح الأمة علماً وعملاً وكونه محدث هذه الأمة ، والله أعلم .

وبالجملة بيان عمرة الحديبية وكونها مبدأً لفتح مكة وما فيها من أسرار وحكم جاءت فيها نفائس من شروح الأحاديث والروايات ، وغرر النقول من كلام أرباب السير وأقوال الجهابذة ، وفى ضمن ذلك جاءت كلمات من أكابرنا من المحدث الكنكوهى ، وأرشد تلامذته المحدث السهارنفورى ، وما لايوجد فى هذه الشروح الضخمة بغاية التلخيص والاختصار ، وشرح كلمات جغرافية ، وتعيين مواضعها بضم خريطة ، وما إلى ذلك من أمور تاريخية وحديثية ، ومسائل فقهية بغاية الجودة .

وخمس عشرة (١٥) صفحةً فى شرح عمرة القضاء ، وهل هى من القضاء أو القضية ، أو هى عمرة القصاص ، وبيان مذاهب الأئمة الأربعة ، ولزوم القضاء بتركها أو عدم لزومه ، وما دار هناك ، وجاء فيها مسألة نكاح المحرم ، واختلاف الأئمة الأربعة فيه ، وثمانى (٨) صفحات فى بيان عمرة الجعرانة وتحقيق لفظها ، ووجه خفائها على بعض الأصحاب ، وتسع (٩) صفحات فى المتفرقات من شرح روايات فى هذا الموضوع وحل تعارضها وبيان ضعفها ، وما إلى ذلك من أبحاث حديثية .

وهذا نبذ يسير من نفائسه تدلنا على أمور :

أما أولاً : فقد دلت تلك الأبحاث الرائقة أن المؤلف ـ متع الله الأمة بأنفاسه ـ قد مرّ على تلك الأبحاث لا كعالم واسع الاطلاع مطلع على حقائق الأبحاث ، بل كأنه جرب هذه المشاكل ، وشفى منها غلته كطبيب مجرب

وحاذق وقف على كل ما دار هناك من دقائق ومشاكل ، وعرف كيف يدخل فى غمارها وكيف يخرج منها ناجحاً فائزاً .

وأما ثانياً : فقد دل هذا التأليف وهذا المنهج من الترصيف أن المؤلف له قدرة فائقة على التلخيص والتنقيح ، يلخص مذاهب الأئمة مع توسع ، وجمعها فى صعيد واحد مع بعد مظانها وتفرق أماكنها ، يقدر قدرها من ابتلى بأمثالها، وقاسى عناءها من أولى الألباب، لامن يقرؤها ويمرّ عليها مرَّ السحاب.

وأما ثالثاً : فقد جاء أمهات مسائل الحج صفوها ولبابها والاقتناع بغرر النقول مع إلمام بكثير من ما يتعلق بالسيرة الطيبة وشمائله المباركة ، وما لاعلاقة له بالنسك ، فهى مذكرة ملخصة لأحكام المناسك فى المذاهب الأربعة يثلج بها صدر الباحث الحثيث .

وأما رابعاً : فكل هذا يدلنا على تواضع قلبه وقلمه ، بعيداً عن التبجح والفخفخة ، لم يخرج من سنى قلمه وأسلة مقوله شئ من رائحة العلو والغلو شأن الأتقياء المقبولين والأخيار المقربين ، وهذا كله مما يملأ قلب العالم البحاثة غبطةً وسروراً وابتهاجاً وفرحةً ، وهذه إيماضات إلى خصائص هذا الجزء تنبئك من مزنة وطفاء إن شاء الله تعالى ، ويلائم إذن أن أسمى هذه التقدمة بـ " الإلماع إلى خصائص جزء حجة الوداع " وإن شئت فقل : " الإبداع بإبداء محاسن جزء حجة الوداع "، هذا ؛ والله سبحانه ولى التوفيق والتسديد، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

كتبه : محمد يوسف بن السيد محمد زكريا
الحسينى البنورى
يوم الجمعة ٤ جمادى الأولى ١٣٩٥هـ
بمنزله بالمدرسة العربية الإسلامية كراتشى ـ ٥